التكييف الثقافي للاختبارات النفسية للبيئة العربية: آراء و اقتراحات

✍ نعموني مراد
أستاذ محاضر-أ- جامعة البليدة 2

1- مفهوم التكييف الثقافي للاختبارات النفسية:

يتضمن تكييف الاختبار النفسي تطبيق الاختبارات المصمّمة في مجتمع أصلي ما، على مجتمع آخر جديد بشرط أن تتم احترام وتقدير التغييرات اللازمة التي تجعله يتوافق مع ثقافة الوسط الذي سيطبق فيه من جديد، وبهذا فإن عملية تكييف الاختبارات لا تعني فقط عملية ترجمة محتواها في رمز لغوي جديد، ولكن الأمر يتعلق بإبداع جديد، يضم مختلف عمليات التحرير والتعبير والإبدال والإضافات، يضاف إليها مختلف التبريرات النظرية والعمليات الإحصائية والتطبيقية.[1]

في هذا الإطار هناك ثلاثة معايير يجب على الأخصائيين ومستخدمي ومطوري الاختبارات النفسية الالتزام بها وهي:

1- عندما يقوم مستخدم الاختبار بإحداث تغييرات أساسية في بنية الاختبار أو في طريقة الاستخدام أو في التعليمات أو في اللغة أو في المحتوى، يجب عليه إعادة التأكد من صدقه حسب حالات التغييرات وعرض أسباب منطقية تدعم قناعاته بإحداث الإضافات التي يقترحها على الاختبار.

2- عندما يترجم اختبار من لغة أو لهجة إلى أخرى يجب التثبت من مصداقيتها وجدارتها.

3- إذا كان المقصود مقارنة نسختين لاختبارين في لغتين، يجب أن يدوّن ذلك في دليل خاص بمقارنة الاختبارين.

من الممكن تتبع المحاولات الأولى لبناء أدوات تقويم للتعرف على نفس المهارة للأشخاص من مختلف الثقافات أو الذين ينتمون لثقافات ثانوية متباينة، فتاريخيا وخلال عام 1904م قام ر.س وودوورث R.S. Woodworth بتطوير لوحة استمارة لاختبارات أداء لا تتطلب معرفة باللغة الانجليزية، أما قبيل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الأولى فقد أدرك نوكس Nocks سنة 1914م، حجم الخطورة والعجز في اختيار المهاجرين (الذين يعانون من علل عقلية) في جزيرة إليس Elyss Isle باستخدام أدوات تعتمد على

اللغة الانجليزية، فقام بتطوير اختبار لا يتطلب إجابات باللغة الانجليزية وكان الاختبار في شكل لوحة استمارة تتكون من دوائر خشبية وحواجز دائرية.

لقد كانت إحدى أهم المحاولات لتكييف الاختبارات هي تلك التي أنجزت خلال الحرب العالمية الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية (1917-1918)، حيث قامت مجموعة من العلماء تحت إشراف ر.م يركس بتصميم اختبار بيتا Beta لتقييم المجندين المتطوعين الذين كانوا إما أميين أو لا يعرفون اللغة الانجليزية.

في العقد الثاني من القرن العشرين، كان ستانلي ورتور Stanley Worter يطور اختباره الشهير (اختبار المتاهة) الذي نشر لأول مرة سنة 1915م، وفي بداية سنة 1920م طور الخبير النفساني كوس اختبار تصميم المجموعات جرى اعتماده في ثقافات متعددة، ثم اتبعت هذه المحاولات باختبار رسم الرجل لغودنوف Goodneuf سنة 1926 لقياس ذكاء الأطفال بين عمر 3-15 سنة.

هذا في الولايات المتحدة الأمريكية، أما خارجها فكانت المحاولة المهمة لتطوير أداة غير متحيزة ثقافيا هي اختبار **رافن** للجدول التقدمي 1938 Raven progressive matrice. كما تم تصميم اختبار **بيديني** لتوزيع الانتباه بغرض قياس قدرة الشخص على تركيز انتباهه على مهمة يطلب منه القيام بها بسرعة ثم يحول انتباهه إلى مهمة معكوسة، وهنا ظهرت محاولات لتكييف هذا المقياس الايطالي الأصل للبيئة الأمريكية.

استخدم اختبار شفهي آخر في ايطاليا اختبار G لكالفي 1970 لتقويم القدرة الاستدلالية للمفاهيم حيث استوحيت فكرته من لعبة الدومينو باعتبارها لعبة شائعة الانتشار في العديد من الثقافات.

هذه لمحة خاطفة عن بعض المحطات التاريخية التي اهتمت بتصميم اختبارات نفسية يعتقد بإمكانية تطبيقها على أشخاص ينتمون لثقافات متباينة ويتكلمون لغات مختلفة، أما في الدول العربية فقد عُني الرواد الأوائل لعلم النفس والذين استكملوا دراساتهم العليا في الدول الغربية في فترات الثلاثينات وحتى السبعينات من القرن العشرين بالمعارف المتقدمة في مجالات علم النفس وعلوم التربية، وحاولوا جلب الكثير من الاختبارات النفسية لإثراء المكتبة العربية، ولكنهم لم يتفطنوا إلى الارتباط الوثيق بين النظرية التربوية والبحث العلمي من ناحية، وبين ثقافة المجتمع وظروفه الاقتصادية والاجتماعية، ولم يدر بخلدهم اغتراب المشكلات البحثية الغربية عن الواقع العربي، ولذا فقد راحوا يشتقون مشكلاتهم البحثية من النظرية التربوية الغربية ويستخدمون نفس المناهج والأدوات السائدة في الغرب، ولهذا جاءت غالبية البحوث أجزاءً من نسيج العلم السيكولوجي الغربي.[2] لقد فضل الباحثون -ولا زالوا إلى حد الآن- تكريس كل مجهوداتهم لتعريب الاختبارات

المستخدمة في الدراسات الغربية عوض الاهتمام ببناء اختبارات جديدة وقد يرجع ذلك لصعوبة وتعقد عملية البناء.

2-إجراءات التكييف الثقافي للاختبارات:

يتطلب التكييف الثقافي للاختبارات مراعاة العديد من الإجراءات وإتباع عدة مراحل نوجزها فيما يلي:[3]

1- ينبغي الأخذ بعين الاعتبار الأدوات والتقنيات والوسائل المناسبة للتكييف، ويجب أن يتضمن هذا الرأي تقويما موضوعيا لصدق مواصفات القياس للمعايير في ثقافة المنشأ، ويجب أن لا يحصل الافتراض بأن الأداة صادقة لمجرد استخدامها بشكل موسع.

2- قبل البدء في خطوة الترجمة ينبغي مراجعة البنود واستمارات الإجابة لاختبار طرق المجموعات الثقافية المحددة أو المجموعات الدولية.

3- في خطوة الترجمة (الترجمة الأولية والترجمة الراجعة أو العكسية)، ينبغي التأكد من أن المترجمين خبراء في اللغتين ويعملون بشكل منفرد في مرحلتي الترجمة (مرحلة الترجمة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف والعكس)، وهنا ينبغي الانتباه إلى صدق ترجمة المتغيرات في اللهجات لتأثيرها على الترجمة من حيث المفهوم والمعنى مثل اللغة الاسبانية في بورتوريكو مقابل الاسبانية في المكسيك أو اللغة الفرنسية مقابل الفرنسية في كندا.

4- يجب دراسة إمكانية تكييف كل بند للثقافة المتلقية، إذ يمكن أن تستعصي بعض البنود عن النقل المباشر، فنقوم بتعديلها وإصلاحها أو إهمالها ووضع بدائل لها.

5- القيام بدراسة استطلاعية، حيث يجري استخدام النسخة التجريبية حسب الأعراف الثقافية والممارسات والعادات، وما إلى هنالك للحصول على نموذج تتطابق فيه النسخة الأصلية مع النسخة المكيفة.

6- عند تحليل المعطيات التي تم الحصول عليها عند تطبيق النموذج التجريبي، يجب دراسة بنية وعينة الأداة ومقارنتها مع بنية الأداة الأصلية، وفي هذه المرحلة يمكن أن يقرّر الباحثون ضرورة إعادة بعض الخطوات السابقة قبل الاستمرار.

من خلال تقييم صدق تحليل البناء السيكولوجي يمكن البرهنة على أن الاختبار صيغ بطريقة احترم فيها الإطار النظري للمقياس الأصلي عن طريق الرجوع للأبعاد والأبعاد الفرعية التي تقترحها النظرية والمتضمنة في المقياس.

أما المستوى الآخر من صدق تحليل البناء السيكولوجي للمقياس، فيتمثل في تقييم ما إذا كان الاختبار ينتج آثارا متوافقة مع الفرضيات المستمدة من النظرية، وهذا يتم عن طريق إجراء دراسات تستعمل فيها الصورة الجديدة للاختبار (إما بإعادة نفس الدراسات المنجزة اعتمادا على الصورة الأصلية أو انجاز دراسات جديدة).

7- القيام بالتحليل الإحصائي الضروري لإثبات خصائص القياس السيكولوجي للأداة المكيفة ثقافيا، فالأدنى المقبول في هذه المرحلة هو حساب درجة الثبات الداخلية للبنود وصدق الدرجات والمعايير، فبدون المعايير الدرجة الخام لا تعني شيئا في الاختبار النفسي، لذا ينبغي استعمال الأدوات الإحصائية المناسبة مثل المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، الاختبارات، وغيرها من التقنيات الإحصائية التي تسمح بالمقارنة بين الفرد والجماعة المعيارية.
8- القيام بدراسات للبيئة ولصدق المعايير، تنسجم مع الأغراض الأخرى المرجوة من استخدام الأداة في الثقافة المتلقية.

3- مصادر الأخطاء في التكييف الثقافي للاختبارات[4]

1- الاختلافات اللغوية. الثقافية التي تؤثر في النتائج:

البنية غير المتكافئة للثقافات قد تكون مصدرا لأخطاء التكييف، لهذا يجب اختيار أخصائيين مطلعين على ثقافة المقياس الأصلي وثقافة المقياس المتلقي لكي يتمكنوا من إيجاد المعاني الموازية في الثقافات التي يجري مقارنتها.

يدخل في هذا الإطار كذلك شكل الاختبار فيما يتعلق بطريقة الإجابة، فأسلوب الإجابات المتعددة QC مثلا لا يمكننا الجزم بأن المتقدمين لاختبار متحكمين في طريقة الإجابة هذه بنفس المستوى، فبعض الدول عودت الممتحنين على طريقة المقالات، ومن ثم يصبح من غير العدل مقارنتهم بممتحنين آخرين تعودوا على التعامل مع الأسئلة ذات الإجابات المتعددة، وهذا ما يؤكد أهمية الترجمة الصحيحة والواضحة لتعليمات الاختبارات التي لا تقل أهمية على ترجمة الاختبار نفسه.

كما تدخل في هذا الإطار مسألة السرعة، فالسرعة في الإجابة هي مهارة تختلف باختلاف الثقافات وهكذا فقد يوضع الممتحنين الذين لديهم خبرة في التعامل مع مقاييس تعتمد على السرعة في وضع مريح مقارنة بغيرهم، ولهذا يكون من الضروري أن يوضح لكل للممتحنين أهمية ودقة العمل السريع إن تطلب الاختبار ذلك.

2- موضوعات تقنية وخطط وطرق:

إذا كان الباحث يعرف أنه سيستخدم الاختبار في ثقافة مختلفة، فالمفيد أنه يضع ذلك في الحسبان في بداية عملية تطويره للاختبار، فيتجنب قدر الإمكان الأسئلة ذات العلاقة بثقافة بعينها وغير المألوفة في الثقافات الأخرى مثل الموضوعات المتعلقة بالعملات أو الرياضات التي تشتهر في دول دون غيرها "كالهوكي" مثلا ويستعيض عنها بموضوعات ونشاطات لها معنى في الثقافات المختلفة.

3- عملية الترجمة:

يجمع دارسو الترجمة وممارسوها على أن من أعظم مشاكل الترجمة هي عجز المترجم في توصيل المعنى الدقيق لأي مفردة في النص الذي يريد نقله إلى لغة أخرى، وترجع هذه المشكلة إلى عدة عوامل، أهمها:

- أن كل لغة تحمل في طياتها العديد من المرادفات التي تختلف في معانيها اختلافا طفيفا عن بعضها البعض.
- إن كل لغة لا بد وأنها تنتمي إلى ثقافة معينة، وبالتالي فإن المترجم قد ينقل الكلمة إلى لغة أخرى ولكنه لن يستطيع أن ينقل ثقافة هذه الكلمة بشكل فعال، بحيث ينقل تصور صاحب الكلمة الأصلية إلى اللغة المستهدفة في الترجمة، وقد تؤدي تلك الاختلافات اللغوية (أو حتي اللهجية) على مستوى المفردة إلى إشكاليات كبيرة.
- إن كل لغة ذات طابع خاص في تركيب الجملة وترتيب مفرداتها (أي القواعد) فمثلا، اللغة العربية تحمل في طياتها الجملة الاسمية والجملة الفعلية، بينما لا توجد الجملة الاسمية في اللغة الإنجليزية على سبيل المثال، فكل الجمل الإنجليزية هي جمل فعلية، وبالتالي فإن اختلاف التراكيب النحوية للغات يجعل من مشكلات الترجمة عدم وجود مقاييس واضحة لنقل التراكيب، هذا بعد النقل الناجح للكلمة واختيار المرادف المناسب ذو المعنى القريب للكلمة، والتي يجب أيضا أن تتحلى بثقافة اللغة والهدف حتى يصل المعنى صحيحا دقيقا وسليما من الثقافة المصدر لعملية الترجمة.

4- شرح النتائج:

الدّراسات التي تهتم بالتكييف الثقافي للاختبارات تسعى إلى تأمين الأساس لإجراء مقارنات بين مجموعات مختلفة الثقافات واللغات لكي نستطيع فهم الفرق والتشابه الموجود، ولهذا يجب الأخذ بعين الاعتبار الفروق بين الثقافات في المناهج الدراسية والسياسات التعليمية ومستوى الحياة والقيم الثقافية، وغيرها من العوامل الضرورية لتفسير درجات الأفراد المنتمين للثقافات المختلفة، فتفسير النتائج يجب أن يأخذ في الحسبان الحقائق الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لكل مجتمع.

4- بعض طرق التأكد من صلاحية التكييف الثقافي للاختبارات النفسية:

1- **استطلاع رأي المحكمين:** يدخله البعض ضمن صدق المحتوى نظرا لاعتماد هذا الأخير على مبدأ التحكيم،[5] ونلجأ خلاله لمجموعة من الخبراء لنطلب رأيهم في الحكم على بنود

الاختبار والتمييز بين البنود الجيدة وغير الجيدة بناء على مدى ملاءمتها للسمة المقاسة، وفي مجال التكييف الثقافي للاختبارات يمكن استشارة الخبراء في أبعاد متعلقة بـ[6]

- وضوح التعليمة.
- سلامة الترجمة.
- ضآلة الفروق الثقافية الكامنة في البنود,
- قدرة المكاشفة لدى المفحوص,
- ضآلة انطباع الغربة في التطبيق,
- تكافؤ الدلالة السيكولوجية لمفاهيم المقياس,
- التوافق المعياري للسلوك السوي أو الشاذ,
- وضوح وألفة طريقة الإجابة,

ويفضل في هذا المجال أن ينتمي الخبراء للغات والثقافات المراد دراستها حتى نتمكن من تقدير درجة تكافؤ وتشابه المعاني لأزواج الأسئلة المستخدمة في الاختبار.

وفي هذا الإطار يمكن لهذا النوع من الإجراء الذي يعتمد على الخبراء ثنائي اللغة لتقدير درجة التشابه في الأسئلة، أن يوصلنا إلى الاطلاع على مختلف أنواع الانحياز في الاختبار النفسي، والجدول الموالي يوضح ذلك:[7]

مصدرالانحياز	الوصف
الانحياز في المفهوم	.المفهوم غير وثيق الصلة في جميع الثقافات (تكافؤ مفاهيمي). .المفهوم غير محدد عمليا بصورة منسجمة عبر الثقافات. .المفهوم غير منسجم عبر الثقافات.
الانحياز في الطريقة	.انحياز في ظروف إدارة الاختبار. .عدم الإلمام بأشكال الاختبار في ثقافة أو أكثر. .أساليب إجابة تفاضلية (مثلا الرغبة الاجتماعية). .عدم القدرة على مقارنة العينات (انحياز في الانتقاء). .تأثير مجرى المقابلة (مثلا تأثير التعميم).
الانحياز في السؤال	.ترجمة خاطئة. .وثاقة الصلة التفاضلية للأسئلة عبر الثقافات. .عوامل الإزعاج.

2- المستجوبين ثنائيي اللغة: في إطار تقييم الاختبار المكيف ثقافيا، يمكن للمستجوبين ثنائيي اللغة أن يزوّدونا بمعلومات قيمة فيما يتعلق بتعادل نسختي الاختبار ومقارنة الدرجات، وفي هذا الإطار يمكن أن توجد عدة تصاميم للتأكد من سلامة التكييف، من بينها ما يلي:[8]

تصميم أحادي المجموعة: يتطلب هذا التصميم مجموعة واحدة ثنائية اللغة، أي أن أفرادها يتقنون اللغة الأصلية واللغة التي سيكيف لها الاختبار، هذه المجموعة تقسم إلى نصفين، تقدم النسخة الأصلية مثلا باللغة الانجليزية للمجموعة الأولى، بينما تخضع المجموعة الثانية للنسخة المكيفة، ولتكن باللغة العربية، ثم نقوم بالعملية العكسية أي أننا نطلب من المجموعة الأولى الإجابة على النسخة العربية المكيفة ونطلب من المجموعة الثانية الإجابة على النسخة الانجليزية الأصلية، ويقاس مدى سلامة التكييف بضآلة تباين نتائج الصورتين في درجات الصدق والصعوبة والتميز.

هناك ثلاثة نقاط ضعف في هذا التصميم هي:

- التصميم لا يفسر وجود أنماط مختلفة من ثنائيي اللغة من الخاضعين للاختبار، فإذا تم مثلا إجراء الدراسة على عينة من ثنائيي اللغة الذين يتقنون أكثر اللغة "أ"، فإن النتائج قد لا تعمم للحالة التي يستخدم فيها عينة من ثنائيي اللغة الذين يتقنون أكثر اللغة "ب".

- وجود أثر الممارسة، لأن الممتحنين يجيبون على كل سؤال في كلا اللغتين، فإن الإحاطة بالسؤال في نموذج الاختبار الأول قد يؤثر على إجابات الممتحنين في السؤال المماثل في نموذج الاختبار الثاني، ومن هنا فأن النتائج قد تختلف عما يمكن ملاحظته في حال إجابة الممتحنين على نموذج اختبار واحد فقط.

- هذه الطريقة غير اقتصادية فاختبار مجموعة واحدة من الخاضعين لاختبار ذي نموذجين يضاعف من الوقت اللازم للاختبار، يضاف إلى كل هذا أن الممتحنين قد يفقدون الحافز أو يصبحون أكثر إرهاقا عند إخضاعهم للإجابة على نموذجين للاختبار، الأول بلغة والآخر بلغة ثانية.

تصميم ثنائي المجموعة: يستخدم هذا التصميم مجموعتين متعادلتين من ثنائيي اللغة يتم اختيارهما اختيارا عشوائيا (أي باستعمال القرعة أو دولاب أو جداول الاختيار العشوائي)، ثم نخضع كلا المجموعتين في نفس الوقت للاختبار النفسي، فتقوم المجموعة الأولى بالإجابة على نسخة الاختبار "أ" وهي صورة مختلطة تحتوي على أسئلة فردية باللغة الأصلية للاختبار ولتكن اللغة الألمانية، وأسئلة زوجية مصاغة بالغة المستهدفة ولتكن اللغة العربية مثلا.

أما المجموعة الثانية فتقوم بالإجابة على نسخة الاختبار "ب" وهي كذلك نسخة مختلطة تحتوي على أسئلة فردية مصاغة باللغة المكيفة للاختبار أي اللغة العربية، وأسئلة زوجية صيغت باللغة الأصلية أي اللغة الألمانية في المثال السابق.

هذا التصميم يتجاوز العديد من الانتقادات الموجهة لتصميم المجموعة الواحدة، فبما أن المجموعتين تم اختيارهما بشكل عشوائي فإننا سنضمن تعادلها وعدم أفضلية إحدى المجموعتين على الأخرى في التحكم في إحدى اللغتين، كما أن هذا التصميم اقتصادي لأن المجموعتين تقومان بالإجابة على الاختبار في نفس الوقت، وبالإضافة إلى أن هذا التصميم مفيد في تحديد الأسئلة التي لم تكن متعادلة عبر اللغات، فإنها كذلك تلغي أثر الخبرة والممارسة الناتجة عن الإجابة على الاختبار مرتين بلغتين مختلفتين.

الصيغة الثنائية اللغة 1									
االبند1 ألماني		البند2 عربي		االبند3 ألماني		البند4 عربي		البند5 ألماني	...
الصيغة الثنائية اللغة 2									
البند1 عربي		االبند2 ألماني		البند3 عربي		االبند4 ألماني		البند5 عربي	...

تصميم متعدد المجموعات: يمكن للتصميمات أن تتخذ أشكالا رباعية أو متعددة المجموعات بناء على درجة تحكم كل مجموعة من الممتحنين في لغة المقياس الأصلي ولغة المقياس المكيف، مثال ذلك أن تشمل المجموعة الأولى ثنائيي اللغة متمكنين من اللغة الانجليزية أكثر من الاسبانية، وتشمل المجموعة الثانية ثنائيي اللغة متمكنين من اللغة الاسبانية أكثر من الانجليزية، وتشمل المجموعة الثالثة مجموعة تتقن اللغتين معا بشكل جيد وهكذا. بالإضافة إلى تمتع هذا التصميم بكل مزايا تصميم المجموعتين، فإنه يعطينا معلومات أدق حول درجة تكافؤ البنود في اللغتين، وإذا توصلنا إلى أن سؤالا ما متعادل إحصائيا عند كل المجموعات فإننا نستدل بذلك على أن هذا السؤال هو نفسه في اللغتين من دون أدنى شك.

3- حساب صدق الاختبار: هو أن يقيس الاختبار ما وضع لقياسه، وتوجد عدة أنواع من الصدق إلا أن الجمعية الأمريكية لعلم النفس صنفت عام 1954 الصدق إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي صدق المحتوى وصدق المحك وصدق التكوين.

وبما أنه لا يمكننا التطرق بالتفصيل لكل طرق حساب صدق الاختبارات لأنه ليس موضوع هذا المقال، فهذا لا يمنعنا من الإشارة إلى بعض الطرق الأكثر استعمالا في هذا المجال، و من بينها ما يلي:

- **صدق المحك**: يعتمد على حساب معامل الارتباط بين درجات الاختبار ودرجات محك خارجي. ويستخدم أكثر لإيجاد معامل الصدق المرتبط بالمحك أو الصدق العاملي.[9]

- **صدق الاتساق الداخلي**: وتعتمد هذه الطريقة على حساب معاملات الارتباط بين درجة كل بند والدرجة الكلية للاختبار (أو الأبعاد ذات العلاقة بالبد)، لأن اتساق البنود من خلال معاملات الارتباط الدالة إحصائيا بينها وبين الدرجة الكلية يشير إلى أن بنود الاختبار متماسكة ومترابطة ومتسقة فيما بينها، وبالتالي كلها تقيس متغيرا واحدا، وهذا مؤشر معقول على صدق الاختبار.[10]

- **صدق المقارنة الطرفية:** تقوم هذه الطريقة على أحد مفاهيم الصدق وهو قدرة الاختبار على التمييز بين طرفي الخاصية التي يقيسها، حيث يقوم الباحث بترتيب درجات أفراد العينة ثم تقسيمها إلى قسيمن، القسم العلوي يتألف من **27 %** من أعلى الدرجات والقسم السفلي ويتألف من **27 %** من أدنى الدرجات ويتم استبعاد **46 %** الوسطى، ثم يقارن بينهما بصفتهما مجموعتين متناقضتين تقعان على طرفي الخاصية إحداها يطلق عليها المجموعة العليا والأخرى المجموعة الدنيا، ويستعمل أسلوبا إحصائيا ملائما وهو اختبار "ت" لدلالة الفروق بين متوسطين حسابيين.[11]

الخاتمة:

إن التطور الكبير في تكنولوجيات الاتصال والتوجه إلى الاقتصاد العالمي وتدفق الهجرة وانتشار الشركات والمجموعات العابرة للقارات، كل ذلك أدى إلى تزايد الاهتمام بالتقويم في المجالات التربوية والصحية والمهنية لمجموعات ذات لغات وثقافات مختلفة، وهذا ما جعل الاهتمام بالتكييف الثقافي للاختبارات النفسية يعد اليوم أكثر من ضرورة.

على الرغم من تأكد اعتماد الطرق العلمية وازدهارها واستخدام الاختبارات النفسية في مختلف المجالات التربوية والصحية والمهنية في الدول الغربية، غير أن عملية القياس والتقويم في الدول العربية لم تحقق الأهداف المنشودة ولعل ذلك يرجع للعديد من الأسباب منها ما يلي:[12]

- اغلب الاختبارات النفسية المتداولة في مختلف القطاعات في الدول العربية هي اختبارات أجنبية صممت لتتناسب مع الخصائص الشخصية للأفراد في المجتمعات الغربية المتباينة ثقافيا وقيميا مع المجتمعات العربية،.

- معظم الاختبارات المعربة لا يتفق محتواها مع ثقافة المجتمع، ولا تخاطب العقل العربي وبالتالي لا تتم الإجابة عنها باهتمام وبدقة وموضوعية، بل قد تتسم الإجابات عنها باللامبالاة والاستهزاء، ومن ثم فإن نتائجها مضللة ولا تعكس الواقع.

- عدم وضوح التصور النظري الذي يكمن خلف بعض الاختبارات خاصة تلك التي يستخدمها باحثون غير واعين بدرجة كافية بأهمية المنطلقات النظرية في بناء الاختبارات.

- قلة الدعم الامبريقي والتقنين العلمي لبعض الاختبارات، وعدم إجراء المزيد من الدراسات الميدانية التي تؤكد تحقق الخصائص السيكومترية لتلك الاختبارات وصلاحيتها للتطبيق في البيئة العربية.

- استخدام معظم الباحثين لمقياس واحد أو وسيلة واحدة في جمع البيانات أو قياس الظاهرة، يقلل من الثقة في النتائج خاصة وأننا نتعامل مع ظواهر إنسانية معقدة.

- بعض الدراسات التي تهتم بتكييف الاختبارات النفسية عبر الثقافات لازالت تستخدم الطريقة الحرفية في الترجمة دون الأخذ بعين الاعتبار أخطار المقارنة الثقافية.

إن استعمال اختبارات غير صالحة للأفراد المعنيين، قد يجعلنا نصنف الأفراد على أنهم موهوبين أو أذكياء أو متفوقين في سمة ما، وفي المقابل نصنف آخرين على أنهم غير موهوبين أو غير أذكياء أو متأخرين بينما هم ليسوا كذلك، ولهذا جاءت الدعوة لضرورة إعداد اختبارات تتفق والرؤى النظرية والتصورات الحديثة في تفسير السلوك الإنساني وجوانبه المتعددة، مع مراعاة الخصوصية الثقافية للمجتمعات والأفراد والسياق الموقفي للظاهرة محل الدراسة في محتوى تلك الاختبارات، ليس هذا فحسب بل الدعوة لإحلال تلك الاختبارات الحديثة محل الاختبارات التقليدية العربية والانجلو . أمريكية المعربة والعتيقة التي لم يعد محتواها يتناسب مع التطورات السريعة في المتغيرات المعرفية والتعددية الثقافية والصراعات الحضارية.[13]

إن عملية التكييف الثقافي للاختبارات عملية صعبة تتطلب مجهودات كبيرة إلى درجة أنه قيل عن التكييف أنه: "قد يكون أكثر أنواع الأحداث تعقيدا بين الأحداث التي ظهرت حتى الآن منذ تطور الخليقة".[14] ولعل ما يضاعف من صعوبة هذه العملية في البيئة العربية هو صعوبة الحصول على فرص لإجراء بحوث ميدانية في المنظمات المتعددة الجنسيات، غير أن الاهتمام المتزايد بهذا الموضوع من طرف الباحثين والمختصين في علم النفس سيمكن لا محالة من تجاوز بعض العقبات، خاصة إذا استفدنا من التجارب في هذا المجال، والتي خلصت إلى أهمية الأخذ بعين الاعتبار بعض الشروط والإجراءات في عملية التكييف والتي من بينها ما يلي:

- وضع خطة مناسبة لعملية تكييف الاختبارات تتضمن احترام خطوات التكييف، تكليف الباحثين المتخصصين للقيام بهذه العملية واختيار

الأساليب الإحصائية المناسبة التي تسمح بكشف البنود التي ينبغي تعديلها أو حذفها وللتأكد من تكافؤ بنود الاختبار عبر الثقافات المختلفة.

- إعطاء أهمية أكبر لعملية الترجمة التي يستحسن أن يقوم بها مترجمون مؤهلون ومتآلفين مع اللغات المستخدمة ويعرفون الثقافات المترجم لها والمترجم إليها ولديهم معرفة بمبادئ القياس النفسي، وهذا حتى نضمن احترام المعنى المقصود عبر اللغات، فالكلمة والجملة والنص يجب أن تحتفظ بمعانيها المتضمنة في النص الأصلي.

- الطلبة والممتحنون مزدوجي اللغة (لغة الاختبار الأصلي واللغة المستهدفة) قد يشكلون مصدرا حقيقيا لكشف أخطاء التكييف الثقافي للاختبار، ومن ثم فإن إجاباتهم على صورتي الاختبار وإجراء مقابلات معهم قد يساهم في تحقيق تكافؤ البنود في الثقافتين، ومن ثم التأكد من سلامة عملية التكييف.

- العمل قدر الإمكان على جعل الأسلوب والشكل العام والخطوات المتبعة في الاختبار وطريقة الإجابة مألوفة للمجموعة المستهدفة، ولهذا يجب أن يتم الاهتمام بوضوح التعليمة مثلما يتم الاهتمام ببنود الاختبار.

- إعطاء أهمية أكبر لتخصص الخبراء المحكمين للاختبار سواء من حيث تخصصهم أو علاقاتهم بموضوع القياس أو اطلاعهم على ثقافة المجتمع التي نكيف له الاختبار.

- استعمال الأدوات الإحصائية المناسبة للكشف على الخصائص السيكومترية للاختبار (الصدق والثبات...) والتأكد من مدى تساوي بنود النسخة الأصلية والمكيفة خاصة من حيث التماثل السيكولوجي الذي يشير إلى التكافؤ واكتساب الأسئلة لنفس المعنى في ثقافتين مختلفتين.

على الرغم من الاعتقاد السائد عند بعض الباحثين بأن تكييف الاختبارات الموجودة حتى ولو كانت غربية يعتبر أفضل من بناء اختبارات جديدة مكلفة وباهظة الثمن وتستغرق وقتا أطول، غير أن بقاء المجتمعات العربية عالة على المجتمعات الغربية، لم ينزع الشكوك والنظر بعين من الريبة للاختبارات التي تم تكييفها، ولهذا قد يكون من بين الفوائد التي يمكن للباحثين استخلاصها من التجارب السابقة في هذا المجال هو ضرورة التحرر والانطلاق في المحاولات الجادة لبناء الاختبارات التي تتفق مع بيئتنا وثقافاتنا وقيمنا.

الهوامش:

(1)- Ben Rejeb, mohamed Riadh. **Développement intellectuel et facteurs culturels**. **Essai d'adaptation des échelles différentielles d'efficiences intellectuelles aux enfants tunisiens âgés de** 3 à **11 ans**, thèse de doctorat d'état 1996.P145

[2]- عزيز حنا وأنور حسين ومصطفى كامل 1991: **مناهج البحث في العلوم السلوكية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص425.
[3]- Robert.J.vallerand, **vers une méthodologie de validation trans-culturelle de** questionnaires psychologiques : **implication pour la recherche française**, psychologie canadienne, 1989, 30 :4.

[4]- رونالد ك هاميلتون، بيتر ف ميريندا، وتشارلز د. سبيلبرغر، ص ص 25-32.

[5]- عبد الله علي القاطعي، **علاقة صدق المحكمين بالمفهوم الإحصائي لصدق البنود، دراسات نفسية**، يناير 1993، م3 ع1 ص 45.

[6]- عبد العزيز حدار، **الاكتئاب وعلاقته باختلال التفكير السنني والتحكم المدرك من منظور الاتجاه المعرفي**، رسالة دكتوراه دولة غير منشورة، جامعة الجزائر، 2006، ص 362.

[7]- رونالد ك هاميلتون، بيتر ف ميريندا، وتشارلز د. سبيلبرغر، مرجع سابق، ص 144.

[8]- رونالد ك هاميلتون، بيتر ف ميريندا، وتشارلز د. سبيلبرغر، مرجع سابق، ص ص 182-192.

[9]- مقدم عبد الحفيظ، **الإحصاء والقياس النفسي والتربوي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2003، ص 151.

[10]- بشير معمرية، **القياس النفسي وتصميم أدو اته**، منشورات الحبر، الجزائر، 2007، ص ص 130-185.

[11]- بشير معمرية، مرجع سابق، ص ص 130-185.

[12]- محمد غازي الدسوقي سيد احمد، طيف **الاختبارات النفسية وإشكالية القياس في الوطن العربي**، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية في مصر.

[13]- محمد غازي الدسوقي سيد احمد، مرجع سابق.

[14]- رونالد ك هاميلتون، بيتر ف ميريندا، وتشارلز د. سبيلبرغر، مرجع سابق، ص 365.